التنشئة الاجتماعية أهم العمليات الاجتماعية وأخطرها شأناً في حياة الفرد

تعد التنشئة الاجتماعية Socialization من أهم العمليات الاجتماعية وأخطرها شأناً في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات الشخصية تبدأ هذه العملية منذ ولادة الطفل فهو في بداية وجوده لا يعدو أن يكون بناء بيلوجياً يتضمن مجموعة من الدوافع والاستعدادات وهنا تقوم الأسرة بدور هام وأساس في اكتسابه خصائص مجتمعه حيث تعلمه لغة الجماعة وعاداتهم وتقاليدهم وعقيدتها وآدابها وتتعاون الجماعات الأخرى (جماعات المدرسة . المسجد . اللعب ومختلف الهيئات التي ينتمي إليها الفرد) مع الأسرة حيث تكمل وظيفتها والتنشئة الاجتماعية.

إن حياة الإنسان في جماعات تتعدد أسماؤها ويرتبط بعلاقات متعددة مع الآخرين حولهم ويدخل معهم في تفاعلات ويطلق على هذا التفاعل الاجتماعي مصطلح العمليات الاجتماعية وهناك من العمليات ما يجمع ويطلق عليه العمليات المجمعة كالتعاون والإخاء والزواج ومنها ما يؤدي إلى التشتت والتنافر وهي العمليات المفككة ولكن التنشئة الاجتماعية من أهمها وأخطرها في حياة الفرد.

يولد الطفل إنساناً ولكن المجتمع من خلال مؤسساته يقوم بصقله وترويضه ويعلمه حتى يمكن الحفاظ على فطرته السليمة وإبراز جوانب إنسانيته الخفية ويطلق على هذه العملية التي يتم من خلالها تكيف الفرد خاصة الطفل ببيئته الاجتماعية عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبع الاجتماعي.

□ وهي في جوهرها عملية تربية وتعليم يقوم بها الآباء والمعلمون وغيرهم ممن يمثلون ثقافة المجتمع. وهي عملية تستهدف تعلم الفرد الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج في ثقافته واتباع تقاليده والخضوع للتزاماته ومجاراة الآخرين بوجه عام وتعادل التربية الاجتماعية والعقائدية والخلقية التي يقوم بها البيت والمدرسة أكبر جانب منها وهي جوهر هذه العملية.

□ لهذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة من المهد إلى اللحد فإنها تحتل أهمية كبرى في مرحلة الطفولة مما يجب أن يتعلمه الطفل الآتي:

١. المشي والفطام وضوابط المثانة والامعاء في مرحلة الطفولة المبكرة والاستحياء الجنسي وكف العدوان عن الإخوة والأبوين والكبار في الكثير من المجتمعات.

٢. القدرة على كف دوافعه غير المرغوبة أو الحد منها . ومما يجدر ذكره أن القدر الأكبر من عملية التنشئة الاجتماعية تتمثل أساساً في إقامة حواجز وضوابط مواجهة الإشباع المباشر للدوافع الفطرية كدوافع الجنس ودوافع المقاتلة والعدوان ، وهي ضوابط لا بد منها لقيام المجتمع السويّ وبقائه ، ولهذا فإن هذه الضوابط توجد داخل كل المجتمعات حتى أكثرها بدائية.

٣. تعليم العقيدة والقيم والآداب الاجتماعية والضوابط الأخلاقية وتكميل الاتجاهات المعترف بها داخل المجتمع نحو الأسرة والمدرسة والدين والسلطة إلى جانب التنميط الجنسي حيث إعداد الذكور لممارسة أدوار الرجل وتوجيه الإناث لممارسة أدوار الإناث حسب قيم المجتمع ومعتقداته.

٤. القدرة على التوقيت المنظم أو القيام بأعمال معينة في أوقات محددة كالأكل والنوم الذهاب إلى المدرسة وأداء الواجبات ...الخ.

□ تمنع عملية التنشئة الاجتماعية الطفل من تحقيق دوافعه الفطرية بشكل فج ، وتعينه على تحقيق كثير مما يريد بالأساليب الشرعية التي يرضى عنها الدين والمجتمع.

□ بهذه الطريقة وخلال هذه العملية تمنع الطفل من القيام بأعمال يميل إليها وتوجهه إلى ضرورة القيام بأعمال لا يميل إليها بطبعه، فإن أراد أن يتجنب عقاب الكبار ويظفر برضاهم عنه وما يعدون له من ثواب فعليه الامتثال لأوامرهم ، وهكذا يتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية إقامة سلطة داخلية في نفس الطفل وهي ما تعرف بالضمير ومتى تكون الضمير أصبح الفرد يحمل داخله مقومات الثقافة الاجتماعية والعقدية والخلقية للمجتمع الذي يعيش فيه.

ولا تقتصر التنشئة الإجتماعية على الأسرة وإنما تمتد لتمارس في المدرسة وخارج المدرسة وفي المسجد ودور العبادة والملعب والنادي والجمعيات والمنظمات وأثناء التفاعل الاجتماعي بالآخرين في السوق والشارع والاحتفالات والعمل ....الخ. غير أن التطبيع الاجتماعي يكون أكثر تركيزاً ووضوحاً خلال مرحلة الطفولة المبكرة عنه في أيه مرحلة أخرى من خلال النمو .

وتعرف التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تفاعل يتم من خلالها تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي وهى في أساسها عملية تعلم لأن الطفل يتعلم أثناء تفاعله مع بيئته الاجتماعيه عادات أسرته وأسلوب حياتها وبيئته المباشرة ومجتمعه عامة .

وهى تتضمن عدة عمليات نفسية تعد الوسائل التي عن طريقها ينتقل التأثير بين أفراد الثقافة التى ينتمي إليها الفرد. وبذلك فهى عملية معقدة تتضمن من جهة كائناً بيولوجياً له تكوينه الخاص واستعداداته المختلفة . ومن جهة أخرى شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم ومن جهة ثالثة تفاعلات ديناميكية مستمرة بين البيئة والفرد حيث يؤدي هذا كله إلى نمو الفرد تدريجياً .

وهى العملية التي يصبح فيها الفرد واعياً ومستجيباً للمؤثرات الاجتماعية وما تشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط وما تفرضه من واجبات على الفرد حتى يتعلم كيف يعيش مع الآخرين ويسلك معهم مسلكهم فى الحياة .

ويرى البعض أنها عملية يكتسب الأطفال من خلالها الحكم الخلقي والضبط الذاتي اللازم لهم حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم . ويرى الآخر أنها عملية تستهدف(تحويل)الفرد من كائن بيولوجي إلى إنسان تتغلغل فيه الصفات الإنسانية والإجتماعية .

عرفت التنشئة الاجتماعية بأنها : عبارة عن تلك العمليات الاجتماعية التى يقوم بها الشخص والتى تأتى بدورها بالناتج الاجتماعى الذى يتم اكتسابه والمتمثل فى مجموعة الاتجاهات والقيم والسلوك المقبول فى كل نظام اجتماعى معين .

عرفت فى قاموس علم الإجتماع بـ:(أنها العملية التى يتكيف بمقتضاها الكائن البشرى مع ثقافته ويتعلم كيف يؤدى وظائف دوره ومكانته فى المجتمع)

نماذج سلوكية

د. يوسف عثمان محمد

عمر بن الخطاب والمال العام

القصة التي نسوقها اليوم مرآة لأئمة المسلمين وعامتهم، ونقصد بأئمة المسلمين كل من يعمل عملاً تعود منفعته على المسلمين سواء كان موظفاً عاماً أم صاحب عمل خاص أو موظفاً في القطاع الخاص ، لأن ما تحت يدي أي من هؤلاء جزء من مقدرات الأمة يجب أن تعود منفعته على الأمة جميعها.

والقصة يرويها ابن الجزري عليه رحمة الله في مصنفه (سيرة ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) ، فعن الزهري رحمة الله قال:» أنكر قلوص - وهي الشابة من الإبل - من إبل الصدقة فنحرها عمر، ودعا الناس، فقال العباس رضوان الله عليه: لو كنت تصنع بنا هكذا، فقال عمر: إنها الله ما وجدنا إلى هذا المال سبيلاً إلا أن يؤخذ من حق، فيوضع في حق، ولا يمنع من حق»

في هذه الكلمات الثلاث نهج كامل السلوك الذي ينبغي على من تتعلق بذمته مسؤولية مالية، وهي ملخص واف للإدارة المالية.

يؤخذ من حَق: تمثل هذه العبادة المنهج الذي ينبغي السير عليه في جباية المال، وعبارة حق تجمع كل أدب وواجب ينبغي على المسئول المالي اتباعه، كما تشير إلى وجوب الابتعاد عن كل ظلم متعلق بجباية المال سواء في تقديره أو في أسلوب جبايته.

فيوضع في حق: يمثل هذا الجزء جانب الاتفاق ويلخص كذلك الأسلوب الواجب على المدير المالي اتباعه في إنفاق المال، وأن عليه أن يتحرى الحقوق فيوفيها ما يناسبها وفق الأولويات المقررة.

ولا يمنع من حق: توجب هذه العبارة على المدير المالي أن يتحرى مواطن الحق ويرتبها حسب أولويتها ويوفي كل ذي حق حقه دون نقص ولا زيادة ولا مطل.

دراسة

التربية القرآنية في سورتي الإخلاص والكافرون (٢/٢)

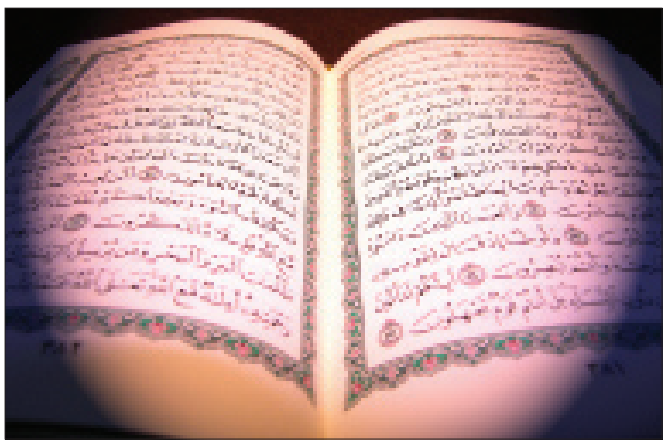

الوقفة الرابعة: هل الكافرون سيرضوننا بالدخول في الإسلام؟

قال تعالى: (ولا أنتم عابدون ما أعبد) هذه الآية تنفي أن يعبد الكافرون الله تعالى.

وفي الآية وتكرارها معان.. منها: أن امتناعهم من عبادة الله ليس لذاته، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون الله[ولا يزال كثير منهم كذلك] ولكنهم كانوا جاهلين به(٧). فمهما ظنوا أنهم يتقربون إلى الله ببعض العبادات فهي في الحقيقة ليست عبادة لله لأن حقيقة العبادة تنافي الشرك بالله، وهذا معنى لا إله إلا الله النافي لكل معبود إلا المعبود بحق وهو الله تعالى. ومن معانيها: أنه مهما قدمت إليكم من تنازلات، فإنكم يا كافرين لا تتنازلون عن شرككم بالله تعالى، ولو أرضيتكم بالشرك بالله (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)، فمع إمكان حصول رضاهم عنا بالشرك بالله إلا أنه لا يمكن أن يرضوننا بعبادة الله وتوحيده. ثم تأمل وصف الله لهم بصيغة نفي اسم الفاعل (ولا أنتم عابدون ما أعبد) ليدل على ثبوت هذا الوصف وعدم انفكاكه عنهم.. ولو لمرة واحدة.

الوقفة الخامسة: لا نرضي الكافرين بتلبية رغباتهم ولو لمرة على حساب ديننا

(لا أعبد ما تعبدون) (ولا أنا عابد ما عبدتم) فيه نفي أن يعبد الرسول صلى الله عليه وسلم آلهتهم الكاذبة. ولكن ما سر التكرار؟ توكيد مفهوم التوحيد والبراءة من الشرك من ذلك، إلا أن بين الآيتين اختلاف في الصيغة. ففي الآية الأولى أتى بصيغة نفي الفعل، وفي الثانية أتى بصيغة نفي اسم الفاعل. والفرق بين الفعل واسم الفاعل أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد والوقوع ولو لمرة واحدة، والاسم يدل على الوصف اللازم ويدل على الثبوت ، فكأنه قال:إرضاؤكم بعبادة آلهتكم لا يقع مني ولو لمرة، وأن هذا ليس وصفي ولا شأني(٨). ونحن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطبون بهذه الآيات من بعده لا ينبغي لنا أن نرضي الكافرين بما يقدح عقيدتنا ولو كان يسيراً ولو لمرة. وقد جاءت التوجيهات القرآنية صريحة ومضمنة بالنهي عن طاعة الكافرين؛ إطلاقاً.. يقول المولى جل ذكره: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) وقال جل ذكره في آيات فيها من التحذير والكشف عن حقيقة الكافرين وما تنطوي عليه نواياهم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ . هَاأَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ).

الوقفة السادسة: التميز لا التميع

الدين هو الملة والعقيدة التي تقع سلوكيات الحياة والتقاليد والعادات على مقتضاها. وفي هذا الإطار يقول الله عز وجل (لكم دينكم ولي دين)، أي لكم ملتكم وعقيدتكم بل وسلوكيات حياتكم وعاداتكم وأنماط عيشكم، ونحن لنا ملتنا وعقيدتنا وسلوكيات حياتنا وعاداتنا وأنماط عيشنا. لا نوافقكم على ما أنتم عليه من الدين فإنه باطل مختص بكم، لا نشرككم ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق. وهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم(٩). جاء في وثيقة الحلف بين المهاجرين والأنصار البند الأساس الذي نص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن المسلمين (أمة من دون الناس).. فقد تتشابه الأمم والدول ويتبع بعضها بعضا في نظمها وتشريعاتها وأخلاقها، اليهود والنصارى والمجوس وغيرها، إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهي أمة من دون الناس، لا يليق بها - بل يحرم عليها - موافقة الكافرين في ما هو من خصائصهم في العادات والتقاليد، فضلاً عن موافقتهم في الشعائر والنظم.

وهذا التميز كان أمراً مقصوداً يستهدف زيادة تماسك الأمة واعتزازها بذاتها، يتضح ذلك في تمييزها بالقبلة واتجاهها إلى الكعبة. وقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم يميز المسلمين عمن سواهم في أمور كثيرة ويوضح لهم أنه يقصد بذلك مخالفة اليهود [كفار المدينة] من ذلك: أن اليهود لا يصلون بالخف فأذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أن يصلوا بالخف، واليهود لا تصبغ الشيب فصبغ المسلمون شيب رأسهم بالحناء والكتم. واليهود تصوم عاشوراء والنبي صلى الله عليه وسلم يصومه أيضاً ثم اعتزم أواخر حياته أن يصوم تاسوعاء معه مخالفة لهم. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم وضع للمسلمين مبدأ مخالفة غيرهم والتميز عليهم فقال: (من تشبه بقوم فهو منهم)وقال: (لا تشبهوا باليهود) والأحاديث في ذلك كثيرة وهي تفيد معنى تميز المسلمين واستعلائهم على غيرهم(١٠).

الوقفة السابعة: لا التقاء بيننا وبين الكافرين

إنها ضرورة المفاصلة الواضحة بيننا وبين الكافرين. فلا يمكن أن نلتقي وإياهم لا في الاعتقاد ولا التصور ولا المنهج ولا السلوك. أما الاعتقاد فنحن نؤمن بأنه لا إله إلا الله، وهم يشركون بالله ما لم ينزل به سلطاناً من حجر أو شجر أو بشر.. ونحن نؤمن بالأنبياء جميعاً (آمن الرسول بما أنزل إليه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) وهم يكفرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويسبونه ويسخرون منه. أما التصور فنحن نرى أن هذا الكون مما يتصل بالإنسان إنما هو مسخر لنا كما ورد في آيات كثيرة من أمثال قوله تعالى (والله جعل لكم) و (وأنزل لكم)، والله الذي وهبه لنا أمرنا أن نسعى فيه وأن نعمره بمنهجه لا بأهوائنا.

والكافرون يرون الكون طبيعة يغالبون بها الله تعالى وأنهم استطاعوا بفضل عقولهم أن يصلوا إلى درجة الربوبية في صناعة الأشياء وتسخيرها فيما يريدون، فأهلكوا الحرث والنسل.

ونحن نعلم - من خلال الكتاب والسنة - تفاصيل حياة الإنسان، مبدأه ومنتهاه ومصيره وآخرته. والكافرون لا يعلمون عن الإنسان ذلك كله فاختلقوا مبدأ كريهاً يخالف ما شرفه الله به فزعموا أن مبدأه حيواناً قرداً، حسب قانون التطور المشئوم. ونحن نرى الحياة الدنيا جزءاً من الحياة تتبعها حياة البرزخ ثم الحياة الأخرى، ونرى الحياة الدنيا مزرعة للآخرة وسبيلاً إليها (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان). والكافرون يرون الحياة الدنيا هي كل الحياة ، فلا برزخ ولا معاد، ولا حساب ولا جزاء (زعم الذين كفروا ألن يبعثوا) فعاثوا فيها فساداً يسابقون الموت بشهواتهم.

أما المنهج فمنهجنا الوحي المعصوم من كتاب وسنة لا يأتيهما الباطل من بين أيديهما ولا من خلفهما. ومنهج الكافرين حثالة أذهان المضلين من البشر الذين سولت لهم أنفسهم وشياطينهم أن يشرعوا لأمثالهم القوانين والنظم.

أما السلوك فإن النظام الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي الذي جاء به الوحي يؤطر حياتنا وحرياتنا وعلاقاتنا وعاداتنا بإطار من الأدب والحشمة، والجماعية ومحبة الغير، والمسؤولية.. والخشية من الله تعالى. والكافرون يعيشون بلا إطار.. لا أخلاقي ولا اجتماعي ولا اقتصادي.. ليس إلا الأنانية والتفلت والتمرد على ما هو أصيل وطاهر .. ليس إلا الحريات المفتوحة في كل الاتجاهات التي أهلكت الحرث والنسل.. ليس إلا حياة الأنعام (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا). إن الفوضى المالية والجنسية ليست إلا إفرازاً نجساً من الكيان الكافر الملحد. كيف نلتقي بهم في وسط الطريق وبيننا وبينهم بعد المشرقين؟! وعندما يريد فئات من الأمة الالتقاء بهم في وسط الطريق - كما يقال - فإنهم في الحقيقة يرتمون في أحضانهم و يقعون في شراكهم، ثم لا يعودون ولاهم يخرجون.. إلا بالخيبة والخسران والتفسخ والانحلال وفقد الهوية والانهزام. أم إنها النبوءة الصادقة من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كما في حديث ثوبان(١١) (ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئة من أمتي الأوثان).

الوقفة الثامنة: إعلان البراءة والمفاصلة

مقتضى كل آيات سورة الكافرون إعلانُ هذه المفاصلة والبراءة بكل وضوح للكافرين، وأن لهم دينهم وطريقتهم في الحياة، ولنا ديننا وطريقتنا في الحياة. ولهذا لما نزلت السورة امتثل النبي صلى الله عليه وسلم الأمر وغدا إلى المسجد الحرام وقرأها على الملأ من قريش.